سورة الحاقة

مكية، وآياتها ٥٢ [نزلت بعد الملك]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾

﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾﴾ الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء، التي هي آتية لا ريب فيها. أو التي فيها حواق الأمور من الحساب والثواب والعقاب. أو التي تحق فيها الأمور، أي: تعرف على الحقيقة، من قولك لا أحق هذا، أي: لا أعرف حقيقته. جعل الفعل لها وهو لأهلها وارتفاعها على الابتداء وخبرها ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾﴾ والأصل: الحاقة ما هي؟ أي أيّ شيء هي تفخيمًا لشأنها وتعظيمًا لهولها، فوضع الظاهر موضع المضمر؛ لأنه أهول لها ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ وأيّ شيء أعلمك ما الحاقة، يعني: أنك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها، على أنه من العظم والشدة بحيث لا يبلغه دراية أحد ولا وهمه، وكيفما قدرت حالها فهي أعظم من ذلك، و(ما) في موضع الرفع على الابتداء. و﴿أَدْرَىٰكَ﴾ معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام. (القارعة) التي تقرع الناس بالأفزاع والأهوال، والسماء بالانشقاق/ ٢/ ٢٣٣ب والانفطار، والأرض والجبال بالدك والنسف، والنجوم بالطمس والانكدار. ووضعت موضع الضمير لتدل على معنى القرع. في الحاقة: زيادة في وصف شدتها؛ ولما ذكرها وفخمها أتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب، تذكيرًا لأهل مكة وتخويفًا لهم من عاقبة تكذيبهم ﴿بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة. واختلف فيها، فقيل: الرجفة. وعن ابن عباس: الصاعقة. وعن قتادة: بعث الله عليهم صيحة فأهمدتهم. وقيل: الطاغية مصدر كالعافية، أي: بطغيانهم؛ وليس بذاك لعدم الطباق بينها وبين قوله ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ والصرصر: الشديدة الصوت لها صرصرة. وقيل: الباردة من الصّر، كأنها التي كرر فيها البرد وكثر: فهي تحرق لشدة بردها ﴿عَاتِيَةٍ﴾ شديدة العصف

والعتو استعارة. أو عتت على عاد، فما قدروا على ردّها بحيلة، من استتار ببناء، أو لياذ بجبل، أو اختفاء في حفرة؛ فإنها كانت تنزعهم من مكامنهم وتهلكهم. وقيل: عتت على خزانها، فخرجت بلا كيل ولا وزن: وروي عن رسول الله ﷺ: «ما أرسل الله سفينة من ريح إلا بمكيال ولا قطرة من مطر إلا بمكيال إلا يوم عاد ويوم نوح، فإنّ الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه السبيل، ثم قرأ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١] وإن الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرأ ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ (١٦٥٠) ولعلها عبارة عن الشدة والإفراط فيها. الحسوم: لا يخلو من أن يكون جمع حاسم كشهود وقعود. أو مصدرًا كالشكور والكفور؛ فإن كان جمعًا فمعنى قوله: ﴿حُسُومًا﴾ نحسات حسمت كل خير واستأصلت كل بركة. أو متتابعة هبوب الرياح: ماخفتت ساعة حتى أتت عليهم تمثيلاً لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكيّ على الداء، كرة بعد أخرى حتى ينحسم. وإن كان مصدرًا: فإما أن ينتصب بفعله مضمرًا، أي: تحسم حسومًا، بمعنى تستأصل استئصالاً. أو يكون صفة كقولك: ذات حسوم. أو يكون مفعولاً له، أي: سخرها عليهم للاستئصال. وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابي [من الوافر]:

فَفَرَّقَ بَيْنَ بَيْنِهِمُ زَمَانٌ ... تَتَابَعَ فِيهِ أَعْوَامٌ حُسُومُ[1]

١٦٥٠ ـ أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٦٥) في ترجمة شهر بن حوشب.

ـ والطبري في تفسيره (١٢/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨)، رقم (٣٤٧٢٧) كلاهما من طريق شهر بن حوشب عن ابن عباس.

ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/ ٨٣) للثعلبي ولابن مردويه في تفسيريهما كلاهما من طريق موسى بن أعين مرفوعًا.

قال الحافظ:

أخرجه الثعلبي وابن مردويه من رواية موسى بن أعين عن الثوري عن موسى بن المسيب عن شهر ابن حوشب عن ابن عباس مرفوعًا وأخرجه الطبري من طريق مهران بن أبي عمر عن سفيان موقوفًا.

---

(١) لعبد العزيز بن زرارة الكلابي، وأصل الكلام: ففرق بينهم زمان، فبينهم ظرف للتفريق، إلا أنه أراد المبالغة بجعل التفريق بين أجزاء هذا الظرف أيضًا، فقال: ففرق بين بينهم زمان؛ وإذا فرق بين الظرف فقد فرق بين أصحابه بالضرورة، فهو من باب الكناية. ويمكن أن بين الثاني كناية عن الوصلة التي بينهم، ولعل أصله: ففرق بين ذات بينهم؛ وبين سبب تفريق الزمان بينهم بوصفه بأنه تتابع فيه أعوام حسوم، من الحسم: وهو القطع، والكي بالنار مرة بعد أخرى حتى ينقطع الدم. وظاهر كلام الجوهري أنه مفرد، لأنه قال: أيام حسوم، أي: مستأصلة. والحسوم: الشؤم. ويجوز أنه جمع حاسم كراكع وركوع، وساجد وسجود، أي: حاسمات وقاطعات لأبواب الخيرات.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣١٩)، القرطبي (٨/ ١٦٩)، والدر المصون (٦/ ٣٦٢).

وقرأ السدي: حسومًا، بالفتح حالاً من الريح، أي: سخرها عليهم مستأصلة. وقيل: هي أيام العجوز؛ وذلك أن عجوزًا من عاد توارت في سرب، فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فأهلكتها. وقيل: هي أيام العجز، وهي آخر الشتاء: وأسماؤها: الصن والصنبر، والوبر. والآمر، والمؤتمر، والمعلل، ومطفيء الجمر. وقيل: مكفيء الظعن[1] ومعنى ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ سلطها عليهم كما شاء ﴿فِيهَا﴾ في مهابها. أو في الليالي والأيام. وقرئ: «أعجاز نخيل» ﴿مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ من بقية أو من نفس باقية. أو من بقاء، كالطاغية: بمعنى الطغيان.

﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ (٩) فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً (١٠)﴾

﴿وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ يريد: ومن عنده من تباعه. وقرئ: «ومن قبله»، أي: ومن تقدمه. وتعضد الأولى قراءة عبد الله وأبيّ: ومن معه، وقراءة أبي موسى: «ومن تلقاءه» ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ قرى قوم لوط ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ بالخطأ. أو بالفعلة، أو الأفعال ذات الخطأ العظيم ﴿رَّابِيَةً﴾ شديدة زائدة في الشدة، كما زادت قبائحهم في القبح. يقال: ربا الشيء يربو: إذا زاد ﴿لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٣٩].

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ (١٢)﴾

﴿حَمَلْنَٰكُمْ﴾ حملنا آباءكم ﴿فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ في سفينة؛ لأنهم إذا كانوا من نسل المحمولين الناجين، كان حمل آبائهم منة عليهم، وكأنهم هم المحمولون، لأن نجاتهم سبب ولادتهم ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ الضمير للفعلة: وهي نجاة المؤمنين وإغراق الكفرة ﴿تَذْكِرَةً﴾ عظة وعبرة ﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ من شأنها أن تعي وتحفظ ما سمعت به ولا تضيعه بترك العمل، وكل ما حفظته في نفسك فقد وعيته[2] وما حفظته في غير نفسك فقد أوعيته كقولك: وعيت الشيء في الظرف. وعن النبي ﷺ. أنه قال لعليّ رضي الله عنه عند نزول هذه الآية: «سألت الله أن يجعلها أذنك يا عليّ» قال عليّ رضي الله عنه: فما نسيت شيئًا بعد وما كان لي أن أنسى (١٦٥١). فإن قلت: لم قيل: أذن واعية، على التوحيد والتنكير؟ قلت: للإيذان بأن

١٦٥١ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٢١٣)، رقم (٣٤٧٧١). من طريق علي بن حوشب عن مكحول. وهو مرسل، =

---

(١) قوله: «وقيل مكفيء الظعن» جمع ظعينة وهي الهودج، أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «يقال وعيته أي حفظته في نفسك... إلخ» قال أحمد: هو مثل قوله: (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) وقد ذكر أن فائدة التنكير والتوحيد فيه الإشعار بقلة الناظرين.

الوعاة فيهم قلة، ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم؛ وللدلالة على أن الأذن الواحدة إذا وعت وعقلت عن اللّه فهي السواد الأعظم عند اللّه، وأن ما سواها لا يبالي بهم بالة وإن ملئوا ما بين الخافقين. وقرئ: «وتعيها» بسكون العين للتخفيف: شبه تعي بكبد.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ/ ٢/ ٢٣٤أ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾

أسند الفعل إلى المصدر، وحسن تذكيره للفصل. وقرأ أبو السمال «نفخة واحدة» بالنصب مسندًا الفعل إلى الجار والمجرور. فإن قلت: هما نفختان، فلم قيل: واحدة[1]؟ قلت معناه أنها لا تثنى في وقتها. فإن قلت: فأي النفختين هي؟ قلت الأولى لأن عندها فساد العالم، وهكذا الرواية عن ابن عباس. وقد روي عنه أنها الثانية. فإن قلت: أما قال بعد، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ والعرض إنما هو عند النفخة الثانية؟ قلت: جعل اليوم اسمًا للحين الواسع الذي تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب، فلذلك قيل: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ كما تقول: جئته عام كذا؛ وإنما كان مجيئك في وقت واحد من أوقاته ﴿وَحُمِلَتِ﴾ ورفعت من جهاتها بريح بلغت من قوّة عصفها أنها تحمل الأرض والجبال. أو بخلق من الملائكة. أو بقدرة اللّه من غير سبب. وقرئ: «وحملت» بحذف المحمل وهو أحد الثلاثة ﴿فَدُكَّتَا﴾ فدكت الجملتان: جملة الأرضين وجملة الجبال، فضرب بعضها ببعض حتى تندقّ وترجع كثيبًا مهيلا وهباء منبثًا والدك أبلغ من الدق. وقيل: فبسطتا بسطة واحدة، فصارتا أرضًا لا ترى فيها عوجًا ولا أمتا، من قولك: اندكّ السنام إذا انفرش وبعير أدك وناقة دكاء. ومنه: الدكان ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾ فحينئذٍ نزلت النازلة وهي القيامة ﴿وَاهِيَةٌ﴾ مسترخية ساقطة القوّة جدًّا بعد ما كانت محكمة مستمسكة. يريد: والخلق الذي يقال له الملك، وردّ إليه الضمير مجموعًا في قوله: ﴿فَوْقَهُمْ﴾ على المعنى: فإن قلت: ما

= ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/ ٨٤) لابن مردويه وللثعلبي في تفسيريهما.
قال الحافظ:
أخرجه سعيد بن منصور والطبري من رواية مكحول به مرسلاً بتمامه نحوه وأخرجه الثعلبي من طريق أبي حمزة الثمالي حدثني عبد الله بن حسن قال: حين نزلت فذكره بلفظ المصنف. انتهى.

---

(١) قال محمود: «إن قلت: لم قال واحدة وهما نفختان... إلخ»؟ قال أحمد: وأما فائدة الإشعار بعظم هذه النفخة: أن المؤثر لدك الأرض والجبال وخراب العالم هي وحده' غير محتاجة إلى أخرى.

الفرق بين قوله: ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾، وبين أن يقال (والملائكة)؟ قلت: الملك أعمّ من الملائكة، ألا ترى أن قولك: ما من ملك إلا وهو شاهد، أعم من قولك: ما من ملائكة[1] ﴿عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ على جوانبها: الواحد رجا مقصور، يعني: أنها تنشق، وهي مسكن الملائكة، فينضوون[2] إلى أطرافها وما حولها من حافاتها[3] ﴿ثَمَٰنِيَةٌ﴾ أي: ثمانية منهم. وعن رسول الله ﷺ: «هم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة آخرين فيكونون ثمانية» ١٦٥٢ وروي: ثمانية أملاك: أرجلهم في تخوم الأرض السابعة، والعرش فوق رؤوسهم، وهم مطرقون مسبحون. وقيل: بعضهم على صورة الإنسان، وبعضهم على صورة الأسد، وبعضهم على صورة الثور، وبعضهم على صورة النسر. وروي: ثمانية أملاك في خلق الأوعال، ما بين أظلافها إلى ركبها: مسيرة سبعين عامًا. وعن شهر بن حوشب: أربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك؛ وأربعة يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك، لك الحمد على حلمك بعد علمك. وعن الحسن: الله أعلم كم هم، أثمانية أم ثمانية آلاف؟ وعن الضحاك: ثمانية صفوف لا

١٦٥٢ ـ أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٩/٣٦ ـ ٣٧) من طريق أبي إسحاق قال: بلغنا.... فذكره.
وذكره الثعلبي بغير سند.
وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: أخرجه الطبري من طريق أبي إسحاق قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: فذكره وهو مذكور في الحديث الطويل الذي يرويه إسماعيل بن رافع عن يزيد بن أبي زياد عن القرظي عن رجل عن أبي هريرة. رواه أبو يعلى وغيره وقد تقدم.

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: ولا يظهر أن الملك أعم من الملائكة، لأن الفرد المحلى بالألف واللام قصاراه أن يكون مرادًا به الجمع المحلى بهما، ولذلك صح الاستثناء منه، فقصاراه أن يكون كالجمع المحلى بهما وأما دعواه أنه أعم منه بقوله: ألا ترى إلى آخره. فليس دليلاً على دعواه لأن من ملك نكرة مفردة في سياق النفي، قد دخلت عليها من المخلصة للاستغراق. فشملت كل ملك فاندرج تحتها الجمع لوجود الفرد فيه: فانتفى كل فرد فرد، بخلاف من ملائكة فإن من دخلت على جمع منكر. فعم في كل جمع جمع من الملائكة ولا يلزم من ذلك انتفاء كل فرد من الملائكة، لو قلت: ما في الدار من رجال جاز أن يكون فيها واحد لأن النفي إنما انسحب على جمع، ولا يلزم من انتفاء الجمع أن ينتفي المفرد، والملك في الآية ليس في سياق نفي دخلت عليه من، وإنما جيء به مفردًا. لأنه أخف ولأن قوله: «على أرجائها» يدل على الجمع لأن الواحد بما هو واحد لا يمكن أن يكون على أرجائها في وقت واحد. بل في أوقات، والمراد والله أعلم: أن الملائكة على أرجائها. لا أنه ملك واحد ينتقل على أرجائها في أوقات. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله: «فينضوون إلى أطرافها» في الصحاح ضويت إليه: أويت إليه وانضممت. (ع)

(٣) قال محمود: «أي على حافتها لأنها تنشق فتنضوي الملائكة الذين هم سكانها إلى أذيالها... إلخ» قال أحمد: كلاهما معرف تعريف الجنس، فالواحد والجمع سواء في العموم.

يعلم عددهم إلا الله. ويجوز أن تكون الثمانية من الروح، أو من خلق آخر، فهو القادر على كل خلق، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يس: ٣٦]. العرض: عبارة عن المحاسبة والمساءلة. شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرّف أحواله. وروي أنّ في يوم القيامة ثلاث عرضات. فأما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ، وأما الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله ﴿خَافِيَةٌ﴾ سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا بستر الله عليكم.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فَأَمَّا﴾ تفصيل للعرض: ها: صوت يصوّت به فيفهم منه معنى «خذ» كأف وحس، وما أشبه ذلك[1]. و﴿كِتَابِيَهْ﴾ منصوب بهاؤم عند الكوفيين، وعند البصريين باقرؤا، لأنه أقرب العاملين. وأصله: هاؤم كتابي اقرؤا كتابي، فحذف الأوّل لدلالة الثاني عليه. ونظيره ﴿ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦]، قالوا: ولو كان العامل الأوّل لقيل: اقرؤه وأفرغه، والهاء في ﴿كِتَابِيَهْ﴾ للسكت، وكذلك في ﴿حِسَابِيَهْ﴾ و ﴿مَالِيَهْ﴾ و ﴿سُلْطَانِيَهْ﴾ وحق هذه الهاءات أن تثبت في الوقف وتسقط في الوصل[2]، وقد استحب إيثار الوقف إيثارًا لثباتها في المصحف. وقيل: لا بأس بالوصل والإسقاط. وقرأ ابن محيصن بإسكان الياء بغير هاء. وقرأ جماعة بإثبات الهاء في الوصل والوقف جميعًا لاتباع المصحف

---

(١) قوله: «كأف وحس، وما أشبه ذلك» يفهم من كل منهما معنى التضجر والتألم، كما يفيده الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «وحق هذه الها آت يعني في كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه... إلخ» قال أحمد: تعليل لقراءة باتباع المصحف عجيب مع أن المعتقد الحق أن القراءات السبع بتفاصيلها منقولة تواترًا عن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم، فالذي أثبت الهاء في الوصل إنما أثبتها من التواتر عن قراءة النبي ﷺ: آيها كذلك قبل أن تكتب في المصحف؛ وما نفس هؤلاء إلا إدخال الاجتهاد في القرآآت المستفيضة، واعتقاد أن فيها ما أخذ بالاختيار النظري وهذا خطأ لا ينبغي فتح بابه، فإنه ذريعة إلى ما هو أكبر منه؛ ولقد جرت بيني وبين الشيخ أبي عمرو رحمه الله مفاوضة في قوله: (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه) على قراءة حفص، انتهت إلى أن ألزم الرد على من أثبت الهاء في الوصل في كلمات سورة الحاقة. لأني حججته بإثبات القراء المشاهير لها كذلك، ففهمت من رده لذلك ما فهمه من كلام الزمخشري ههنا ولم أقبله منه رحمه الله، فتراجع عنه؛ وكانت هذه المفاوضة بمكاتبة بيني وبينه، وهي آخر ما كتب من العلوم على ما أخبرني به خاصته، وذلك صحيح لأنها كانت في أوائل مرضه رحمه الله، والله أعلم.

﴿ظَنَنتُ﴾ علمت. وإنما أجري الظن مجرى العلم، لأن الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والأحكام. ويقال: أظن ظنًا كاليقين أنّ الأمر كيت وكيت ﴿رَّاضِيَةٍ﴾ منسوبة إلى الرضا؛ كالدارع والنابل. والنسبة نسبتان: نسبة/ ٢/ ٢٣٤ب بالحرف، ونسبة بالصيغة. أو جعل الفعل لها مجازًا وهو لصاحبها ﴿عَالِيَةٍ﴾ مرتفعة المكان في السماء. أو رفيعة الدرجات. أو رفيعة المباني والقصور والأشجار ﴿دَانِيَةٌ﴾ ينالها القاعد والنائم. يقال لهم ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا﴾[1] أكلا وشربًا هنيئًا. أو هنيتم هنيئًا على المصدر ﴿بِمَآ أَسْلَفْتُمْ﴾ بما قدمتم من الأعمال الصالحة ﴿فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ الماضية من أيام الدنيا. وعن مجاهد: أيام الصيام، أي: كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الأكل والشرب لوجه الله. وروي يقول الله عزّ وجل: يا أوليائي طالما نظرت إليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة؛ وغارت أعينكم، وخمصت بطونكم، فكونوا اليوم في نعيمكم، وكلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾

الضمير في ﴿يَٰلَيْتَهَا﴾ للموتة: يقول: يا ليت الموتة التي متها ﴿كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾ أي القاطعة لأمري، فلم أبعث بعدها؛ ولم ألق ما ألقى. أو للحالة، أي: ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت عليّ، لأنه رأى تلك الحالة أبشع وأمرّ مما ذاقه من مرارة الموت وشدته؛ فتمناه عندها ﴿مَآ أَغْنَىٰ﴾ نفي أو استفهام على وجه الإنكار، أي: أيّ شيء أغنى عني ما كان لي من اليسار ﴿هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ ملكي وتسلطي على الناس، وبقيت فقيرًا ذليلاً. وعن ابن عباس: أنها نزلت في الأسود بن عبد الأشد. وعن فناخسرة الملقب بالعضد، أنه لما قال [من الرمل]:

عَضُدُ الدَّوْلَةِ وَابْنُ رُكْنِهَا ... مَلِكُ الأَمْلاَكِ غَلاَّبُ الْقَدَرْ[2]

---

(١) قوله: «كلوا واشربوا هنيئًا» في الصحاح: هنؤ الطعام وهنىء، أي: صار هنيئًا. وهنأني الطعام يهنئني ويهنؤني، ولا نظير له في المهموز هنأ وهناه. وهنئت الطعام، أي: تهنأت به، وكلوه هنيئًا مريئًا. (ع)

(٢) ليس شرب الكأس إلا في المطر ... وغناء من جوار في سحر
غانيات سالبات للنهي ... ناعمات في تضاعيف الوتر
مبردات الكأس من مطلعها ... ساقيات الكأس من فاق البشر
عضد الدولة وابن ركنها ... ملك الأملاك غلاب القدر

للحسن بن علي الطوسي. وقيل لعضد الدولة نفسه، يقول: ليس شرب الخمر الكامل اللذة إلا في =

لم يفلح بعده وجنّ فكان لا ينطق لسانه إلا بهذه الآية. وقال ابن عباس: ضلت عني حجتي. ومعناه: بطلت حجتي التي كنت أحتج بها في الدنيا.

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾ ثم لا تصلوه إلا الجحيم، وهي النار العظمى، لأنه كان سلطانًا يتعظم على الناس. يقال: صلى النار وصلاه النار. سلكه في السلسلة: أن تلوى على جسده حتى تلتف عليه أثناؤها؛ وهو فيما بينها مرهق مضيق عليه لا يقدر على حركة؛ وجعلها سبعين ذراعًا إرادة الوصف بالطول. كما قال: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [التوبة: ٨٠]، يريد: مرات كثيرة، لأنها إذا طالت كان الإرهاق أشد. والمعنى في تقديم السلسلة على السلك: مثله في تقديم الجحيم على التصلية. أي: لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة، كأنها أفظع من سائر مواضع الإرهاق في الجحيم. ومعنى ﴿ثُمَّ﴾ الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم، وما بينها وبين السلك في السلسلة، لا على تراخي المدة[1] (إنه) تعليل على طريق الاستئناف، وهو أبلغ؛ كأنه قيل: ما له يعذب هذا العذاب الشديد؟ فأجيب بذلك. وفي قوله: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾﴾ دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين، أحدهما: عطفه على الكفر، وجعله قرينة له. والثاني: ذكر

= حال المطر، وفي حال غناء الجواري في السحر، غانيات: جميلات مقيمات في العيون عذرات، سالبات: ناهبات للنهى: جمع نهية وهي العقل؛ ناعمات: أي متنعمات. وفي تضاعيف الوتر: متعلق بغناء. ويروى: ناغمات، بالمعجمة، أي: محسنات لأصواتهن في أثناء صوت الوتر؛ وهو الخيط المشدود في آلة اللهو. والراح: الخمر. وعضد الدولة: بدل من الموصول المفعول بساقيات. والعضد في الأصل: استعارة للممدوح؛ لأن به قوتها. كالعضد للإنسان. والركن كذلك استعارة لأبيه بجامع التقوية أيضًا، وهو أقرب من تشبيه الدولة بالإنسان تارة وبالبناء أخرى، على طريق المكنية، ولكنهما الآن لقبان للممدوح وأبيه، وذكر الضمير وإعادته على الدولة مع أنها جزء للعلم في المحلين للمح الأصل كالاستعارة. والقدر: ما قدره الله وقضاه. وفي وصف ممدوحه بأنه غلاب القدر من فجور النساء ما لا يخفى، ولذلك روي أنه جن وحبس لسانه حتى مات: وعن النبي ﷺ: «أغيظ الناس رجلاً على الله يوم القيامة وأخبثهم: رجل تسمى ملك الأملاك، ولا ملك إلا الله».

(١) قال السمين الحلبي: ونازعه الشيخ: في إفادة التقديم الاختصاص كعادته وجوابه ما تقدم. ونازعه أيضًا في أن ثم للدلالة على تراخي الرتبة، وقال مكي: التراخي الزماني بأن يصلي بعد أن يسلك ويسلك بعد أن يؤخذ ويغل بمهلة بين هذه الأشياء انتهى وفيه نظر من حيث أن التوعد بتوالي العذاب آكد وأفظع من التوعد بتفريقه. انتهى. الدر المصون.

الحض دون الفعل، ليعلم أنّ تارك الحض بهذه المنزلة، فكيف بتارك الفعل، وما أحسن قول القائل [من الطويل]:

إِذَا نَـــزَلَ الأَضْـــيَـــافُ كَـــانَ عَـــذَوْرًا عَلَى الْحَيِّ حَتَّى تَسْتَقِلَّ مَرَاجِلُهْ[1]

يريد حضهم على القرى واستعجلهم وتشاكس عليهم[2]. وعن أبي الدرداء أنه كان يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين، وكان يقول: خلعنا نصف السلسلة بالإيمان، أفلا نخلع نصفها الآخر؟ وقيل: هو منع الكفار. وقولهم: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ [يس: ٤٧] والمعنى على بذل طعام المسكين ﴿حَمِيمٌ﴾ قريب يدفع عنه ويحزن عليه، لأنهم يتحامونه ويفرون منه، كقوله: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠﴾ [المعارج: ١٠]، والغسلين: غسالة أهل النار وما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم؛ فعلين من الغسل ﴿ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ الآثمون أصحاب الخطايا. وخطىء الرجل: إذا تعمد الذنب[3]، وهم المشركون: عن ابن عباس: وقرئ: «الخاطيون» بإبدال الهمزة ياء، والخاطون بطرحها. وعن ابن عباس: ما الخاطون؟ كلنا نخطو، وروى عنه أبو الأسود الدؤلي: ما الخاطون؟

---

(١) تركنا فتى قد أيقن الجوع أنه إذا ما ثوى في أرحل القوم قاتله
فتى قد قد السيف لا متضائل ولا رهل لبّاته وأباجله
إذا نزل الأضياف كان عذورًا على الحي حتى تستقل مراجله

قيل: إنه للعجير السلولي. وقيل: لزينب بنت الطثرية ترثي أخاها يزيد. واللبن الطثر والخاثر: بمعنى. شبه الجوع بإنسان عدو للقوم على سبيل المكنية، وإثبات الإيقان له تخييل، وكذلك قتله، وهذا مبالغة في وصف يزيد بالكرم، وأنه مانع للجوع من دخوله بيوت القوم ولحوقه بهم، حتى كأن الجوع يخافه ويتيقن أنه إذا دخل بيوت القوم قتله يزيد. ويجوز أن فاعل ثوى: ضمير يزيد، لكن الأول أبلغ؛ لأنه يفيد أن الجوع لم يدخل على القوم لخوفه من يزيد، وقد: فعل مبني للمجهول، وقد السيف: مفعول مطلق، أي خلق على شكل السيف في المضي في المكان وتنفيذ العزائم. والمتضائل المتضاعف المتخاشع، والرهل ـ كتعب ـ: الاسترخاء. والرهل ـ كحذر ـ: وصف منه، وجمع اللبة باعتبار ما حولها. والأباجل: جمع أبجل، وهو عرق غليظ في الفخذ والساق وفرس وهن الأباجل سريع الجري، والعذور ـ بالعين المهملة وتشديد الواو ـ: سيء الخلق قليل الصبر عن مطلوبه، كأنه يحتاج إلى الاعتذار عن سوء خلقه. والمراجل: القدور العظام يقول: تركنا في المعركة فتى كريمًا جوادًا سريعًا في قرى الضيفان، إذا نزلوا به كان سيء الخلق على أهله، حتى ترتفع قدوره الأثافي، فيحسن خلقه كما كان.

وهو لزينب بنت الطثرية في لسان العرب (عذر)، والتنبيه والإيضاح ٢/ ١٦٧، وجمهرة اللغة ص ٦٢، وتاج العروس (عذر)، وبلا نسبة في لسان العرب (ضيف)، (عدل)، وأساس البلاغة (عذر)، ومقاييس اللغة ٤/ ٢٥٦، ومجمل اللغة ٣/ ٤٦١.

(٢) قوله: «وتشاكس عليهم» في الصحاح: رجل شكس، أي: صعب الخلق. (ع)

(٣) قوله: «وخطىء الرجل إذا تعمد الذنب» في الصحاح: قال الأموي؛ المخطىء من أراد الصواب فصار إلى غيره. والخاطىء: من تعمد لما لا ينبغي. (ع)

إنما هو الخاطئون؛ ما الصابون؟ إنما هو الصابئون: ويجوز أن يراد: الذين يتخطون الحق إلى الباطل، ويتعدون حدود اللّه.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾

هو إقسام بالأشياء كلها على الشمول والإحاطة، لأنها لا تخرج من قسمين: مبصر وغير مبصر. وقيل: الدنيا والآخرة، والأجسام والأرواح، والإنس والجنّ، والخلق والخالق، والنعم الظاهرة والباطنة، إن هذا القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أي يقوله ويتكلم به على وجه/ ٢/ ٢٣٥أ الرسالة من عند اللّه ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ ولا كاهن كما تدعون والقلة في معنى العدم. أي: لا تؤمنون ولا تذكرون ألبتة[1]. والمعنى: ما أكفركم وما أغفلكم ﴿تَنزِيلٌ﴾ أي: هو تنزيل. بيانًا لأنه قول رسول نزل عليه ﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وقرأ أبو السمال: تنزيلًا، أي نزل تنزيلًا. وقيل: الرسول الكريم جبريل عليه السلام. وقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ دليل على أنه محمد ﷺ: لأنّ المعنى على إثبات أنه رسول، لا شاعر ولا كاهن.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾

التقوّل: افتعال القول[2]، لأن فيه تكلفًا من المفتعل، وسمى الأقوال المتقوّلة «أقاويل»

---

(١) قال السمين الحلبي: ولا يراد بقليلًا هنا النفي المحض كما زعم، وذلك لا يكون إلا في أقلّ. نحو أقلّ رجل يقول بذلك إلاّ زيدًا وفي قلّ نحو قلّ رجل يقول ذلك إلا زيدًا، وقد يستعمل في قليل وقليلة إذا كانا مرفوعين نحو ما جوزوا في قول الشاعر [من الطويل]:

قَـلِـيـلٌ بِـهـا الأَصْـوَاتُ إلاّ بُـغَـامُـهَـا

أمّا إذا كان منصوبًا نحو قليلًا ضربت. أو قليلًا ما ضربت على أن تكون «ما» مصدرية فإن ذلك لا يجوز؛ لأنه في قليلًا ضربت منصوب بضربت، ولم تستعمل العرب قليلًا إذا انتصب بالفعل نفيًا بل مقابلًا لكثير، وأمّا في قليلًا ما ضربت على أن تكون «ما» مصدرية فتحتاج إلى رفع قليل. لأن ما المصدرية في موضع رفع على الابتداء. انتهى ما رد به عليه وهو مجرد دعوى. انتهى. الدر المصون.

(٢) قال محمود: «التقول: افتعال من القول؛ لأن فيه تكلفًا... إلخ» قال أحمد: وبناء أفعولة من القول، وهو معتل، كما ترى غيب عن القياس التصريفي. ويحتمل أن تكون الأقاويل جمع الجمع، كالأناعيم: جمع أقوال وأنعام؛ وهو الظاهر، والله أعلم.

تصغيرًا بها وتحقيرًا، كقولك: الأعاجيب والأضاحيك، كأنها جمع أفعولة من القول والمعنى: ولو ادعى علينا شيئًا لم نقله لقتلناه صبرًا، كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام، فصوّر قتل الصبر بصورته ليكون أهول: وهو أن يؤخذ بيده وتضرب رقبته. وخص اليمين عن اليسار لأن القتال إذا أراد أن يوقع الضرب في قفاه أخذ بيساره، وإذا أراد أن يوقعه في جيده وأن يكفحه بالسيف، وهو أشد على المصبور لنظره إلى السيف أخذ بيمينه ومعنى ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾ لأخذنا بيمينه، كما أن قوله ﴿لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ لقطعنا وتينه، وهذا بيّن، والوتين: نياط القلب وهو حبل الوريد: إذا قطع مات صاحبه. وقرئ: «ولو تقوّل» على البناء للمفعول قيل ﴿حَٰجِزِينَ﴾ في وصف أحد؛ لأنه في معنى الجماعة، وهو اسم يقع في النفي العام مستويًا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث. ومنه قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، والضمير في عنه للقتل، أي: لا يقدر أحد منكم أن يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه. أو لرسول الله، أي: لا تقدرون أن تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه؛ والخطاب للناس، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ وهو إيعاد على التكذيب. وقيل الخطاب للمسلمين. والمعنى: أن منهم ناسًا سيكفرون بالقرآن ﴿وَإِنَّهُ﴾ الضمير للقرآن ﴿لَحَسْرَةٌ﴾ على الكافرين به المكذبين له إذا رأوا ثواب المصدقين به. أو للتكذيب، وإن القرآن حق اليقين، كقولك: هو العالم حق العالم، وجدّ العالم. والمعنى: لعين اليقين، ومحض اليقين ﴿فَسَبِّحْ﴾ اللّه بذكر اسمه العظيم وهو قوله: سبحان اللّه؛ واعبده شكرًا على ما أهلك له من إيحائه إليك.

عن رسول اللّه ﷺ: «من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابًا يسيرًا» (١٦٥٣).

١٦٥٣ ـ تقدم برقم (٣٤٦) وهو الحديث الموضوع في فضائل القرآن سورة سورة.
قال الحافظ في «تخريج الكشاف» أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بالسند إلى أُبي بن كعب انتهى.